

الحلقة الرابعة والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما هي نظرة المسيحية إلى الزواج؟ وما هو موقفها من الزواج والطلاق؟ إنها أسئلة هامة علينا أن نطرحها لاسيما في هذه الأيام التي تمر فيها مجتمعاتنا العربية بتغييرات كثيرة. إن الزواج يعني تأسيس عائلة جديدة أو الخلية الأولى في المجتمع. أجل يا صديقي إن الزواج هو أمر هام في حياة الإنسان، وخطوة حاسمة تقرر مستقبله، ولذا عليه أن يحسن الاختيار فيمن ستكون شريكه حياته. وليس عيباً أن يتأني المرء في اتخاذ هذا القرار الهام، لكي يأتي قراره صائباً وبعد دراسة وتمحيص.

ولكي نعرف نظرة المسيحية إلى الزواج وموقفها من الطلاق، علينا أن نعود إلى الإنجيل المقدس، وحديث المخلص المسيح عن هذا الموضوع. فقد جاء مرة جماعة من الفريسيين اليهود وهم فئة دينية متزمتة، إلى المسيح ليجربوه كعادتهم وسألوه قائلين:

«هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَطْلُقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الْاِثْنَانُ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذَا لَيْسَا بَعْدَ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدًا وَاحِدًا. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلَاقٍ فَتُطَلَّقُ؟» قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَطْلُقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا بِسَبَبِ الزَّنا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّغَةِ يَزْنِي». قَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «إِنَّ كَانَ هَكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَلَا يُوَافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ!» فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ، لِأَنَّهُ يُوجَدُ خَصِيَانًا وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خَصِيَانًا خَصَاهُمْ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خَصِيَانًا خَصَاؤًا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (بشارة متى ١٩: ٣-١٢). سنتأمل الآن بهذا الحوار الهام فابقوا معنا.

صديقي المستمع، لقد ركّز المخلّص المسيح في إجابته للفريسيين على الزواج أكثر من الطلاق. واعتبر أن الزواج هو رباط دائم بين الرجل والمرأة. وأكّد أن الله خلق الإنسان من البدء ذكراً وأنثى، وأن على الرجل أن يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. ثم وصل المسيح إلى هذه النتيجة الهامة: «إِذَا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». وهنا أكّد المسيح أنه بالزواج يصبح الرجل والمرأة جسداً واحداً، أي يمتزجان ويتحدان ببعضهما بوحدة كاملة ويصيран واحداً. و بما أن الله هو الذي يجمعهما، لذا لا يمكن لأي إنسان أن يفرقهما.

وكان المسيح بإجابته هذه لم يترك مجالاً للطلاق، مما أثار حفيظة الفريسيين فتساءلوا قائلين: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلَاقٍ فَتُطَلَّقُ؟». نعم، لقد سمحت شريعة العهد القديم بأن يطلق الرجل امرأته، ويعطيها كتاب طلاق. وذلك لحفظ الحقوق المدنية للمرأة، ولحمايتها من السقوط بسبب وحدتها. وفي نفس الوقت إن كتاب الطلاق هذا جعل الرجل يفكر مرتين قبل الإقدام على الطلاق، إذ لم يكن باستطاعته طرد زوجته متى شاء.

لكن المخلّص المسيح أجابهم على تساؤلهم هذا بالقول: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَنْزَلَ لَكُمْ أَنْ تَطْلُقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا». أي أن سبب سماح الشريعة بالطلاق يعود لفساد طبيعة الإنسان وشرّ قلبه، مع أن الأمر لم يكن هكذا عندما خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى. لكن المسيح سمح بالطلاق في حالة واحدة فقط، هي حالة الزنا. وأردف قائلاً: أن الرجل الذي يطلق امرأته لسبب آخر يزني، أي يصبح زانياً، وكذلك الرجل الذي يتزوج بمطلقة.

وهنا نجد أنه حتى تلاميذ المسيح احتجوا قائلين: «إِنْ كَانَ هَكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَلَا يُوَافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ!» أي اعتبروا أن الأمر صعب وفوق طاقة الإنسان. لكن المسيح أوضح لهم: أن «لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ.. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» أي الذي يريد أن يكون من أولاد الله.

مستمعي الكريم، إن نظرة المسيحية إذن إلى الزواج هي نظرة إلهية سامية. فلقد كان قصد الله أن يكون الزواج اتحاد كامل بين الرجل والمرأة غير قابل للانفصام. وعلى هذا الأساس يجب أن يعمل الزوجان لاستمرار حياتهما معاً، وأن لا يفكران بالطلاق أبداً. ولقد كتب النبي ملاخي حتى في العهد القديم قائلاً: «مَنْ أَجَلَ أَنْ الرَّبِّ هُوَ الشَّاهِدُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ امْرَأَةِ شَبَابِكَ الَّتِي أَنْتَ غَدَرْتَ بِهَا، وَهِيَ قَرِينَتُكَ وَامْرَأَةٌ عَهْدِكَ... فَاحْذَرُوا لِرُوحِكُمْ وَلَا يَغْدُرْ أَحَدٌ بِامْرَأَةِ شَبَابِهِ. لِأَنَّهُ يَكْرَهُ الطَّلَاقَ، قَالَ الرَّبُّ» (ملاخي ٢: ١٤-١٥)

١٦). إن الطلاق إذن أمر مكروه لدى الله، ولا يجوز أن يغدر أحد بامرأته. ولهذا يجب أن يبني الزوجان حياتهما على أساس الالتزام الكامل والحب المتبادلين.

ولقد كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: «أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، لِأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ. كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الرَّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ (أفسس ٥: ٢٢، ٢٨). إن الزواج السليم الصحيح مبني إذن على التفاهم الكامل بين الزوجين. وأساسه خضوع المرأة للرجل، ومحبة الرجل للمرأة، محبته لها كمحبته لجسده. بهذه الثنائية المتبادلة تُبنى العائلة السليمة. هذه هي نظرة المسيحية إلى الزواج كرباط كامل ونهائي، إذ ترفع من مستوى المرأة وتحترمها كإنسانة لها حقوقها الكاملة.

أمام هذه الحقائق الواضحة يتأكد لنا المستوى الرفيع الذي يريدنا الله أن نصل إليه في بناء الخليّة الأولى في المجتمع ألا وهي الأسرة. وهنا علينا أن نوضح أن هذا المستوى لن يستطيع تطبيقه فعلاً كما قال المسيح إلا الذين يريدون أن يصبحوا من أولاد الله عن طريق الإيمان بالمسيح وقبول خلاصه الكامل.